2005 04 05.0003a-r

كلمة "حملة ذاكرة الحرب وانصاف الضّحايا المستمرّة معاناتهم"

نزار صاغيّة

منذ ثلاثين عاما، بدأت مسيرة الآلام.

مسلحون يملؤون الشوارع، يتحاربون، يقتلون على الهوية، يخطفون أملا بالمقايضة أوربما تنصلا من معارض أو انتقاما لكلمة، مسلحون يشاركون في مجازر كبرى اهتزّت لها ضمائر العالم، آلاف السيارات المخففة، آلاف المنازل المدمرة، عشرات القرى المهجرة، وخطوط تماس وتلال ترابية تعزل المواطنين بعضهم عن بعض، وميليشيات تتنازع فيما بينها وتأتمر بقلّة من القادة، في اجواء تتنامى فيها العصبيات على إختلافها.

ومع انتهاء الحرب، تصدت الطبقة السياسية في مختلف أطيافها ومواقعها لأي مراجعة للذات. وعلى هذا الأساس، تنكر قانون العفو للضّحايا وأوجاعها كافة، فاتحا الباب امام ملاحقات انتقائية، فظهر الحاكم مظهر المبتزّ، فيما ظهر المحكوم مظهر الضحيّة!! مما تسبّب بمزيد من الأصوات المطالبة بالعفو وفي الوقت نفسه بمزيد من التّعتيم على الوجع والمسؤوليّة. ولا نبالغ القول أنّ مطلب الطبقة السياسية -معارضة وموالاة- طوال سنوات ما بعد الحرب كان ان تبقى الضحية خفية، أن يبقى الوجع فرديا منعزلا، لئلا يؤدي اظهاره الى نكأ الجراح وتهديد السّلم الأهلي. وعليه باتت كلمة السر: الاجلال لمن كان مسؤولا في الحرب دون اي ملامة، والتوبيخ وربما التهميش لمن يطالب بالعدالة دون اي تعاطف. وهكذا وجد ضحايا الحرب أنفسهم ضحايا للسّلم أيضا، علما أن الظلم بلغ أقصاه ضدّ الضحايا ممن تستمرّ معاناتهم، وتحديدا ممن لهم أسباب تمنعهم عن التحرّر من الماضي كالمعوقين و المهجرين و المفقودين أو ذويهم. ولأجل هؤلاء بشكل خاص، تضامنت هيئات مدنية عدة منذ ما يقارب العام في حملة "ذاكرة الحرب وانصاف الضحايا المستمرة معاناتهم" بغية مؤازرتهم وانصافهم في مواجهة التهميش واللامبالاة.

بعد ١٤-٢-٢٠٠٥، بدت الأوراق وكأنها انقلبت رأسا على عقب.
فزلزال اغتيال الرئيس رفيق الحريري أحدث اضطرابا ضميريا هائلا أعاد الى الأذهان مفاهيم "المسؤولية"، مفاهيم "الحقيقة"، مفاهيم "الجريمة والعقاب".
وهكذا فجأة، تحول الشعار الذي رفعه ذوو المفقودين طوال عقود: "من حقنا أن نعرف" من شعار محصور في دوائر ضيقة، في دوائر التهميش..الى شعار يتردد عاليا على مستوى الوطن.. العدالة أولا، الحقيقة أولا بعيدا عن أي مجاملة أو تخاذل.

2005-0405-00003b-2

وهكذا فجأة تحولت صرخة المعوقين المطالبين بالمواطنة والمساواة الى صرخة ترجعها مسيرات مليونية ضخمة وان تعددت النوايا الكامنة وراءها. فيما انعكست المصالحة، ضمان عودة المهجرين، في هتافات توحي باستعادة الثقة بالذات وبالهوية الوطنية.

هذا التحول الجذري في الخطاب العام هو اليوم الذي يؤملنا بفصول جديدة، لكنه أيضا، وهذا ما لا يخفى على أحد، يجري في أجواء لا تخلو من المخاطر. وبكلمة لا شيء يوازي كبر الأمل اليوم الا كبر الخطر. وكلاهما يستدعي أن تحتلّ مطالب العدالة والانصاف ومنها مطالب الحملة الحاضرة قلب المساحة العامة: فانصاف الضحايا المستمرة معاناتهم هو امتحان وتأسيس لبناء دولة الغد، فيما قضاياهم تشكل بحد ذاتها علامات استفهام كبرى تحذر من دروب العنف.